ضلّ الليل

رواية

اسم الكتاب: ضلّ الليل
اسم المؤلف: غازي جابر
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 66
سنة الإصدار: 2024
رقم الإيداع: 22534 / 2024
الترقيم الدولي: 0 – 088 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
تصميم غلاف: رانيا السفوت
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

ضلّ الليل

رواية

غازي جابر

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
حقوق حلمك

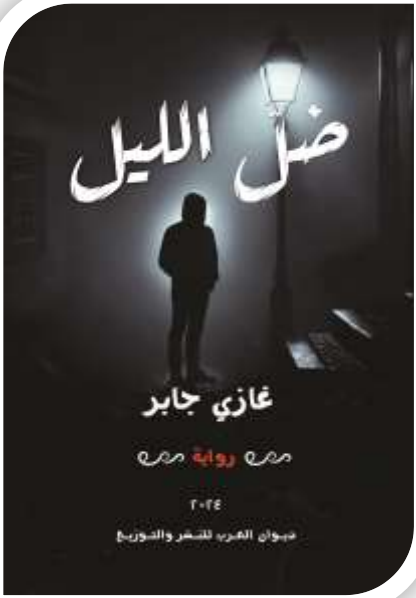

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

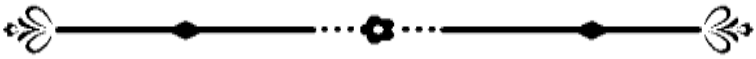

إهداء

إلى التي ربت وتعبت وسهرت الليالي لتراني سعيدًا دائمًا أمي العزيزة.

إلى الذي رباني على الصدق والإخلاص والاعتماد على ذاتي أبي تغمده الله بواسع رحمته وفضله.

إلى سندي وعوني إخواني وأخواتي:

حسين، حليمة، صديق، محمد، والي الدين، حواء، فاطمة، زينب وإسماعيل.

ثم إلى أصدقاء ضُل الليل الأعزاء.

غازي جابر

****

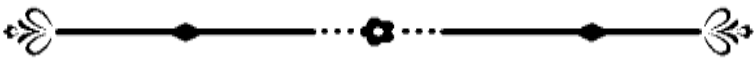

شكر وتقدير

لكل من ساهم في هذا المشروع العظيم. وأيضًا شكرًا لكل من جعل هذا ممكنًا.

وشكر خاص للأستاذ معاوية محمدين الذي لم يتوانَ في تقديم الدعم.

****

رسالة

يفعل المرء المستحيل من أجل الوصول إلى ما يريده.

استثمر وقتك إنه يمضي وينتهي كالنار في الهشيم.
كن أنت التغيير الذي ينتظره غيرك.
ربما تتخلص الأمم من عتمة الظلام بالقليل من العلم.

****

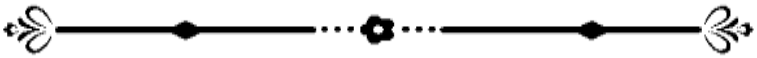

مقدمة

هذه الرواية تسلط الضوء على قضايا أعتقد أنها ذات أهمية عظمى دُونت بحروفٍ من بريق الريف العظيم ومن نسج خيال الطبيعة، خلصت بقصص تمخّضت حول سلوك الشباب من فعلهم المقاوم للعادات والتقاليد والثقافات والأعراف.

يجمع بين هؤلاء الشباب صلة الصداقة رغم اختلافهم وتعددهم الديني والاثني والثقافي والاجتماعي.

جمعتهم مرحلة الطفولة والدراسة والأزقة وميادين اللعب احتضنتهم الصداقة الكاملة.

حقًا إنها صداقة البدايات الندية، والنهايات العظيمة عمومًا إنهم تشكلوا في بدايات حياتهم الأولى، الآن هم يقاومون بمحض إرادتهم الكاملة على ما ذكر لهم في التاريخ والحضارة والأعراف والعادات والتقاليد التي تشبعوا بها من كنف أسرهم، وكما دُرست لهم في المراحل الدراسية التي جمعتهم.

ناهضوا كل من تسّول له نفسه المساس بصلابة صداقتهم، ترابطهم، تماسُكهم، حبهم للحياة مجتمعين.

كانوا يناقشون اهتماماتهم وحتّى الأشياء ذات الخصوصية بصراحة وشفافية وصدق، كما أنّ كليهما يعرف طموحات وأحلام وتطلعات الآخر ويسعون معًا لتحقيقها، وكانوا يقفون جنبًا إلى جنب أمام كل الظروف والعوائق التي تحتاج منهم إلى تضافر الجهود، وذلك ليس بدافع مادي بل استجابة لدواعي الصداقة التي جمعتهما وتأكيدًا على تحقيقها.

وما يقوي ويميز صداقتهم التأدب، التواضع، التحمل والاحترام المتبادل بينهم لذا كانت صداقتهم تحافظ على الاستمرارية.

الآن نتابع معًا من خلال هذه المساحة تمحور وتسلسل هذه الحروف، ندلف إلى ما سطّر قلمُنا في رواية جمعت تلك الوقائع وضُل الليل بين أبطال فصولها.

****

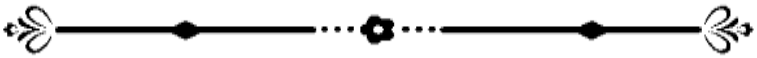

الفصل الأول

عباس يبلغ 28 ربيعًا ينحدر من أسرة عريقة تقطن في شمال الروصيرص وتتكون أسرتهم من أب وأم، والده له شأن عظيم في منطقتهم وكان أحد أعمدة القرية، يرجع له في اتخاذ القرارات التي تخص إنسان المنطقة، كان والدُه ذا عقلٍ وحكمةٍ، وعُرف بأنه مثقف تلقى تعليمه في خلاوي الشيخ البرعي وحفظ ما تيسر له من كتاب الله، وكان يسمع الأخبار عبر جهاز الراديو، كان متحدثًا لبقًا ومحنكًا، ربى ابنه عباس على الطاعة والانضباط والتدين خاصة في مرحلة الطفولة.

نوفمبر حيث ارتفاع درجات الحرارة خاصة عند النهار، والتي تصل إلى ٣٩ درجة مئوية، حيث يتذمر معظم الناس من العمل في هذه الأوقات ودائمًا ما يلجؤون إلى التغيب عن العمل ويصطنِعون حِججًا واهية لتبرير أسباب غيابهم عن ساعات العمل المسموح بها يوميًا وفقًا للدوام الطبيعي، استيقظ عباس مبكراً غير عادته بينما كان يصحو في الأيام

الطبيعية عند الساعة السادسة والنصف صباحًا الوقت الذي تشرق فيه الشمس في فصل الصيف.

ذهب إلى المرحاض الموجود في الاتجاه الشمالي الشرقي داخل منزلهم المتواضع، المرحاض عبارة عن حفرة دائرية موضوع بباطنها برميل يتراوح عمق الحفرة بين ١,٥٠-٢,٥٠ متر، عادة يتم سقفها بحطب من شجر الأبنوس غليظ الحجم يوضع بشكل أفقي يترك في منتصف الحفرة بين الحطب فتحة مربعة الشكل ويتم تَسويره من القصب الأخضر من نبَات العَدار وهو نبات يشبه الذرة الرفيعة تمامًا وارتفاعه يصل إلى مترين أو يزيد، يستخدمه مواطنو القرى الطرفية الريفية في سقف الرواكيب وسياج منازلهم (الصريف). وتغطي فتحة باب المرحاض قطعة شوال من البلاستيك القديم تربط بطريقةٍ محكمةٍ وسهلة الفتح، قضى عباس حاجته، وتسَوك بعود من شجر الطلح، قطعه بسكين يحملها على ذراعه الأيسر مبطنة (مجلة) بواسطة قطعة من جلد الأصلة مثبتة على قطعتين من شرائح الألومنيوم ملفوفة حول ذراعه بقطعة من الجلد بنية اللون دائرية الشكل توضع على ذراعه الأيسر، توجد بها فتحات صغيرة بين الجلد وشرائِح الألومنيوم توضع عليها إبرة الخياطة، ومُنقاش يستخدم كأداة لإخراج الشوك الذي يطعن

الإنسان والحيوان، وأيضًا يستخدم للكثير من الأغراض على سبيل المثال: نظافة أظافر أرجل البقر والماعز والضأن.. إلخ.

فرغ عباس من السواك، ذهب إلى جوار والدته حاجة سعدية التي تجلس على سرير (عنقريب) مصنوع من خشب السُنط بشكلٍ جميلٍ تُظهره تصاميم أرجل السرير بِتحزيزاتٍ أعلى وأسفل الفتحة التي يدخل عبرها مِرق السرير وتأكد أن الصانع قد صنعه بجودة عالية حتّى أصبح جاذبًا للزبائن، وأصبح عليه طلبات كثيرة جدًا وكانت حاجة سعدية تفرش على السرير بِرش مصنوع من سعف النخيل بلونه الرمادي، تصنع حاجة سعدية هذه البِروش بغرض استخدامها في منزلها وأحيانًا تهدي منها إلى معارفها وأقربائِها الذين يزورونها في مواسم الأفراح والأتراح لتُبادلهم هذه البروش وتُعتبر من أثمن وأقيم أنواع الهدايا التي يحبونها من حاجة سعدية وكانوا يشكرونها ويثنون عليها ويتباهون بهذه البروش والسجادة التي تصنع من السعف، وعند عودتهم إلى ديارهم يتصلون بها بالهاتف ويخبِرونها بِأنهم ممتنون لها، والآن هم جالسون على البروش الذي أهديته لها في مناسبة ود العمدة، وتبادلهم عبر الهاتف اللحظات التي لا تنسى، إنها تفرحُ كثيرًا عند سماعها لهذا الإطراء والمجاملات منهم، شرب عباس

الشاي وهو جالس مع والدته ويتبادلان أطراف الحديث، ويقول عباس مداعبًا والدته:

هل سكبتِ قليلًا من العسل في هذا الشاي؟

ما هذا الطعم؟

إنه لذيذ جداً!

أضفت نكهة القرنفل طعمًا رائعًا عليه، حرفيًا أنا اليوم لأول مرة أحتسي كوب شاي يزيل ألم الصداع من أول رشفة منه، ضحكت والدته ملء شدقيها وردّت عليه مداعبة له، وهي تضع يدها على كتفه قائلة له وهي تحدق في عينيه:

يا بُني شاي أمك ما زال بذات طعمه المعهود الذي أقدمه لك من زمان، إنها وزنته المعتادة التي أعمل بها ولم أغير فيها شيئًا البتة، إلا أنت يبدو أنك اليوم بحاجةٍ إلى قروش!

كان عباس دائمًا عندما يحتاج مبلغًا من المال يجلس في حضن والدته ويتودد إليها ويتبادلان أطراف الحديث، وتظل تبتسم أمامه وقبل أن يختم جلسته معها وببراءة يطلب منها ما يحتاجه من مالٍ، وكان يستخدم عبارات يستعطف بها والدته كثيرًا، وأكثر ما يردد من عبارات على سبيل

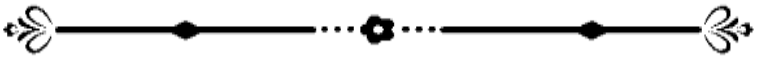

المثال: والله دهبك ده يا حاجة مبروك شديد، دائمًا بِحلحل مشاكلنا وبخلصِنا من المواقف الحرجة، وأحيانًا يقول لها: يا أمي الغالية ولدك الليلة مفلس، شوفي لينا خمسين جنيهًا نضعها في جيب الساعة ده مؤشرًا بيده على جيبه، كان الشباب في الريف يضعون أكبر فئة من القروش في الجيب الصغير الذي يوجد أعلى الجلباب من الجهة اليمنى للجلباب (الجلابية) الأبيض اللون، يسميه الشباب جيب ساعة.

ضحك عباس من رد والدته بصوت عالٍ ومسح على شواربه بيده اليسرى وقال لها:

لا والله يا حاجة الليلة طعم الشاي الذي قدمتِه لنا غير المعتاد إنه لذيذ جدًا!

إنه معمول بحب!

يا لجمال هذه اليد التي أعدته!

حرفيًا استمتعت بشرابه ومذاقه كثيراً.

وأطمئنك بحرارة أنا لست بحاجة إلى قروش اليوم، لأنني ادخرت قروش القُوال بتاع العيش، ولم تنتهِ بعد كما أنه تبقى منها سبعة

آلاف جنيه، ربما تكفينا لمصروف ثلاثين يومًا آخر إن شاء الله، لا تحملي همَّ ذلك البتة.

ابتسمت والدته ابتسامة عريضة وردت عليه بصدقٍ وشفافيةٍ، متعاطفةً مع ابنها الذي تكنُ له حبًّا كثيرًا في أعماق قلبها قائلة له: "ربنا يخضر دراعك يا شيال التقيلة"

بادلها الحب بابتسامة وهو يشعر بالفخر والسعادة من حديث والدته وفخرها هي الأخرى به وقال: ربي لا ترني شرًا يصيب والدتي وامنحني طاقة تجعلني أسعِدها طول عمري، إنّها كنز قيّم، إنّها كلّ ما أملك في هذه الدنيا يا رب لا تحرمني حبّها وعطفها عليّ، إنّني بدونها لا شيء.

نهض عباس من مجلسهم وشرب كوب ماء من الزِيرالذي يوجد بجوارهما، إنه مصنوع من الفخار يتدرج من الأعلى في شكل دائرة شكلها شبه مخروط تنتهي عند الأسفل مغطى بطبق معمول من سعف النخيل ملون بألوان الطيف السبعة شرب الماء بكأس (كورة) مصنوعة من الألومنيوم وقال:

الحمد لله على هذه النعمة العظيمة، وكانت هذه المياه تُجلب من البحر، لونها طوبي تغير بفعل مياه الخيران، المجاري، والأنهار التي تصب في

البحر، هكذا يتغير لون الماء في فصل الخريف خاصة في مناطق شمال الروصيرص. قال لوالدته: يا أغلى أم في الدنيا أنا ذاهبٌ إلى السوق لجلب احتياجات المُلاح هل تحتاجين إلى شيء آخر أحضره لك عند عودتي؟

كانت حاجة سعدية تعلم أنّها إذا طلبت أي شيء من الدنيا لجلبه ابنها إليها تحت قدميها بلا شك، هزت رأسها شمالًا ويمينًا تعني بعدم احتياجها لأي شيء آخر، وقبلته على جبينه واحتضنته بين ذراعيها وقالت له: اذهب سريعًا وعد إليّ بسلام يا بُني، أنا أنتظر عودتك سالمًا، تنفس عباس بعمق أمام سحابة زرقاء وخرج من منزله، وكان يمشي بخطى واسعة فارع الطول مؤرجحًا كتفيه العريضتين العضِلتين وفي طريقته بوضع قدمه على الرصيف الذي يجتازه، هكذا خرج وكان فرحًا وسعيدًا بما تبادله مع والدته من حديث عزز ثِقة والدته به وإدراكه للمسؤولية.

كان عباس أسمر اللون وطويل القامة وشعره أسود ناعمًا، وعيناه سوداوين وشنبه بارزًا يشبه شكل العقرب، وصدره عريضًا يحيط عليه شعر كثيف يظهر عندما يرتدي قميصًا ويفتح أزرار القميص العليا، عباس إنسان بشوش ومرح ودود الابتسامة مفعم بحبّ الآخرين، شابٌ طموحٌ يحترمه ويقدره معظم سكان القرية لحسن تعامله وأدبه وحسن أخلاقه التي

تميزه وسط مجتمعه، فتى مثقف تشبع بحِكم أجداده الأوائل، كان يتلقى الأخبار من راديو أهداه إليه عمه عندما كان في السابعة من عمره.

كان عباس أكثر جدية في الأمور التي تحتاج أن يكون الإنسان حاسمًا في قراراته وتقديراته بصورة أكثر إيجابية.

جلب عباس من السوق كل احتياجاته وعاد إلى منزله مسرعًا سيرًا على الأقدام، ذلك لأنّ المسافة من السوق إلى منزله تبعد حوالي كيلو واحدًا أو ربّما أراد أن يتمشى على أرجله، كان يفضل المشي سيرًا على الأقدام في المشاوير القصيرة.

اِلتقى في طريقه بفتاةٍ طويلة القامة شعرها أسود طويل، شديد اللمعان يتدلى حتّى منتصف ظهرها لونها بني مائل إلى الأسمر، صدرها عريض يظهرعلى صدرها ثدييها كحبات البرتقال ترتدي جلبابًا قطنيًا أصفر اللون وعليه ألوان بنية أعلى منطقة الصدر وأسفل الجلباب، ترتدي معطفًا قطنيًا ذا اللون القرمزي، حاجباها كرِيش نعام يكملان جمال عينيها السوداوين، تحمل حقيبة على كتفها لونها مُتناسِق مع لون الجلباب تمامًا، التفت عباس نحوها ووقعت عيناه على عينيها وجهًا لوجه، وكأنّه أوّل مرة منذ نشأته يرى فتاة بهذا الجمال وقال محدّثًا ذاته:

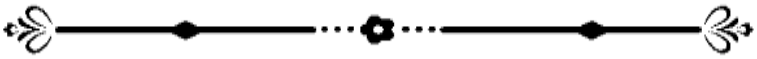

ما هذا الجمال!

يا للهول!

برب السماء من أين أتت هذه الأنثى الجميلة، الساحرة، الفاتنة، الرقيقة وبدأ يسأل نفسه مربتًا على رأسه متعجبًا مما رآه من جمال أنثى فاتنة تمر من أمامه، هل قريتنا فيها مثل هذه الحسناوات؟

من متى أصبحت تُطل علينا حوريات أهناك حوريات أصلًا في الدنيا؟

أين أنا بحق الجحيم؟

أين أنا؟

هل ما زِلتُ في كوكب الأرض أم ماذا يدور من حولي؟

صمت قليلًا وحبس أنفاسه وجمد تفكيره لبرهة من الزمن، وإلى أن جمع كل شجاعته وصبَّ جلّ تفكيره بأن يبادر بإلغاء التحية على هذه الإنسانة التي ظنّ بأنّها مخلوقٌ آخر لم يمشِ على كوكب الأرض، تقدم نحوها مسرعًا واقتربت المسافة بينهما حوالي عشرة أمتار، وزادت سرعته وهو مركز بصره عليها تمامًا كما الشخص الذي يجلس لامتحان كشف النظر، اقترب عباس نحوها واقتربت هي الأخرى. نظر إليها في شرود بعيد وعيناه ترحلان إلى عوالم أخرى وقال سرًا:

بماذا أحييها؟

ماذا أقول لها؟

وكيف أبادر كلماتي إليها؟

وبأي لغة أحييها؟

هل أُحييها بتحية الإسلام أم بماذا؟

هل أخاطبها باللغة العربية التي لا أجيد غيرها من اللغات أم ماذا؟

وبما أنه لا يجيد غير اللغة العربية قهقه قليلًا، ثمّ قال لها:

السلام عليكم

آملًا منها أن تلقي النظر عليه وترد السلام كما حياها.

تخلل صوت عباس أُذنيها لأوّل مرة في حياتها ذاك الصوت الذي سمعت به عن صاحباتِها الكثير، وكان حاضرًا في كلّ جلسات صديقاتها وبنات خالاتها وعماتها، وكلّ مكان تجلس فيه، حينما تتحدّث الفتيات عن الشباب وكلٌّ منهُن تتحدّث عن محبوبها للأخريات، ويذكرن عباس ويعبرنّ عن مدى عمق حبّ تلك الفتيات لعباس من طرفٍ واحدٍ، أيّ دون علم عباس بحُبّهن له، ردت عليه بصوت مفعم بالأنوثة، يملؤه الحبّ والعشق والشفافية والصدق قائلة:

وعليكم السلام والرحمة.

وأردفت:

هل أنت بخير يا عزيزي؟

صوتُ كأنشودة لم يسمعها عباس من قبل في هذه المجرة هيّج شُجونه!

صمت عباس برهةً من الزمن وصُدم عندما أدرك أنّ هذه الفتاة التي ظنّ بأنّها من كوكب آخر تعرف اسمه وترد إليه السلام بطريقة لم يتوقعها أن تحدث منها إطلاقًا، وضع عباس يده اليمنى على خده ورفع حاجبيه ونظر نحو السماء في دهشة من أمره، وما حدث معه في غضون هذه اللحظات، كانت السماء ملونة باللون الأزرق يتدرج لون السُحب إلى الأبيض وتظهر السُحب في هذا الصباح الجميل كما الأمواج الهادرة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط عند فصل الربيع وقال عباس محدثًا نفسه:

هل حقًا أنها تعرفني أم هذا الاسم جاء نتاج مصادفة عابرة؟

قرر أن يختبرها بعد أن سألته ليرد عليها قائلًا:

أنا بخير وصحتي بحالة جيدة، أنا أتنفس إذاً أنا موجود،

أردفت مجاملة له في خبر سمعت به من صاحباتها بمرض والدته فقالت له: كفارة لخالةُ سعدية وكيف صارت حالتها الآن؟

هل تحسنت صحتها؟

لم أستطع أن آتي معها إلى المستشفى لأنَّ الخبر جاءنا متأخرًا شديدًا في الحيّ.

قال عباس: أجل إنّها بحالة جيدة جدًا.

منحه عطرها الهادئ الذي تسرب إلى أنفه نوعًا من الراحة النفسية والطمأنينة وقال لها مجاملًا مبتسمًا:

إنّ هذا العطر جميل جدًا!

هل يباع في سوق القرية؟

أريد أن أشتري مثله.

قالت له: ليس من هذا السوق، هذا هدية من عمي المغترب أرسله لي مع زوجته.

طوال الطريق عباس كان يتكلم ويتكلم تحدّث إليها عن كل شيء، عن مراحل الدراسة، ذّكرها بأيام طِفولتهم عندما كانوا في المرحلة الإبتدائية المختلطة كانوا يدرسون في فصل دراسي واحد، عباس كان معجبًا بها حد

الموت لكنّه لم يبُح لها بهذا الحبّ وقتها، حدّثها عن التاريخ، عن حادثة عنبر جودة فبراير١٩٥٦م إبان الحكومة الوطنية الأولى برئاسة إسماعيل الأزهري، وحدثّها عن مجزرة الجزيرة أبا وود نوباوي التي كانت في مارس ١٩٧٠م في فترة حكم جعفر النميري، وتكلم عن مجزرة الضعين يناير ١٩٨٧م، كما تحدّث عن إعدام الأستاذ محمود محمد طه يناير١٩٨٥م وتحدّث عن تحرير الخرطوم يناير ١٨٨٥م، وأيضًا تحدّث عن اعتصام القيادة العامة ومجزرة فض اعتصام القيادة العامة يونيو٢٠١٩م، تحدّثت هي أيضًا عن نضالات النساء السودانيات وعن دور المرأة ومشاركة المرأة في عمليات الكفاح المسلح المناهض للحكومات الدكتاتورية.

تنحدر حميراء من أسرة عريقة تتكون من أب وأم وأخ وأخت، عمل والدها ضابطًا في الجيش السوداني متنقلًا بين التصنيع الحربي وسلاح المهندسين تدرج في الرتب العسكرية حتّى رتبة العميد وعندها بلغ سن المعاش الحكومي وتقاعد في منزله، والآن عمره قد بلغ سبعين عامًا سكن في القرية وعلّم أولاده التعليم الثانوي والجامعي في المدينة، أنشأ مزرعة داخل منزله، بها أنواع شتى من الخضروات والفواكه،

وكانت تغنيه عن كلّ احتياجات أسرته وأيضًا يشغل به نفسه وتعتبر برنامج عمل يناسب عمره وكان أولاده عندما يعود إلى القرية في أيام العطل والإجازة يستمتعون بوقتهم مع والدهم، ويحكي لهم عن إنجازات الجيش وعَن السياسة والتاريخ لذا كانت بنته حميراء مثقفة وملمة بالشأن السياسي السوداني والإقليمي والدولي.

عباس وحميراء تحدثا كثيرًا عن السياسة وعن الفكر والثقافة، عباس كان متحدثًا لبقًا وقد مس كلامه شغاف قلبها، وكانت تنظر بحبّ نحو عباس عندما يسرد لها التاريخ.

طوال الطريق لم يكفّا عن الحديث، عندما اقتربا من الحيّ صمتا معاً، واكتشفا أنهما لم يتحدّثا حرفًا واحدًا عن الأمر الذي يريده كلٌّ منهم، غرق عباس من الوهلة الأولى في غيبوبة عشق لم يستيقظ منها أبدًا، وغمرته كلمات تلك الفتاة قبل أن يفترقا في طريقهما، وخطر على بال عباس فكرة أن يخلق أمرًا يجعلهما يلتقيان مرة أخرى، وقال محدّثًا ذاته:

هل تقبل أن تلتقي بي مجددًا إذا اقترحت عليها هذا؟

أم ربما ترفض طلبي وأكُون قد أضعت فرصة للتاريخ

فكّرعباس جليًا بفكرة يجب أن تكون مقبولة حتّى تقبل بها هذه الفتاة التي سكنت في قلبه، ويدرك عباس كما غيره من شباب القرية أنّ عادات وتقاليد وثقافة أهل القرية لا تسمح لفتاة أن تلتقي مع شاب في الطريق العام أو في أيّ مكان يراهما الناس بشكلٍ متتالٍ، هذا يثير شكوك المارة حولهم ربما يؤدي هذا الفعل إن حدث إلى طرد هؤلاء من القرية والأغلب أن يطرد الشاب والتحفظ على بقاء الفتاة في مكانها، وبالتأكيد ستصبح دنيئة في نظرة المجتمع المحلي.

طرأ على عباس سؤالٌ يقصد منه تمديد وإطالة الزمن حتّى يتمكن من طرح فكرته، وقال لها: من أين جئتِ في هذه اللحظات؟ وأنت متعبة بهذا القدر وتظهر عليك آثار الإرهاق والتعب يا جميلة.

ارتاحت لسؤال عباس لها وتنفست نفسًا طويلًا متمهلة وردّت عليه بود وأريحية:

ليست كذلك فقط المشوار طويل جئت للتوّ من منزل رابحة الحنانة لتحديد موعد معها بغرض مجيئها إلى منزلنا لرسم الحناء لأختي الكبيرة وهي من أكثر الفتيات إبداعًا في مجال رسم الحناء وأيضًا أختي لها علاقة صداقة دامت منذ زمن بعيد تربطها مع

رابحة الحنانة وكانت تجمعهما مرحلة دراسة واحدة في مرحلة الأساس واللتان دَرستا في مدرسة خديجة بنت خويلد الأساسية للبنات.

وعندما كانت تجيب على سؤال عباس لها كان عباس قد تبعثرت أفكاره وأصابه ذهول في كيفية توصيله لما يدور حول ذهنه من أفكار تتخلل عقله، صمت قليلًا وتنفس لفترة طويلة ونهنه بصوت منخفض:

يا عزيزتي كيف يمكننا أن نلتقي مجددًا؟

وأردف: لنكمل ما أثير من نقاش بيننا

فاجأها بهذا السؤال وظنت أنه يتوق لأمر لم تحسب له من قبل رغم أنها تود مقابلته ويسعدها أن تلتقي بالشاب الذي تجري سيرته بين ألسنة الفتيات في مجالسهن وفي جلسات القهوة، وفي منزل إحدى صويحباتها في كلّ مكان توجد فيه، صمتت قليلًا ولم تجد ردًا على سؤال عباس المفاجئ، ولم تصمت أكثر لأنه في انتظار ردها في الحال، كأنّها تود أن يؤخر هذا اللقاء لتذهب وتحكي لصاحباتها أنّها اِلتقت اليوم في ساعة مصادفة أمام المارة من الناس في منتصف شارع الشهيد أحمد، وهذا الشارع أسماه الشباب في القرية تمجيدًا لذكرى الشهيد أستاذ أحمد الخير

الذي عُذّب من جهاز الأمن والمخابرات أبان هبّة ثورة ديسمبر ٢٠١٨م المجيدة وتم اغتياله جراء التعذيب الوحشيّ الذي لا يليق بالإنسانية في شيء، من يفعلون ذلك هم عديمو الضمير والأخلاق ويكاد يجزم أنهم لا ينتمون إلى عالمنا ومجتمعنا السوداني الكريم بطبعه وأصالة معدنه الإنساني النبيل، كانت وقائع محاكمتهم مزيج من الدهشة والحيرة وانتهت فصولها بالحكم بالإعدام على مقترفي تلك الجريمة لكنهم هربوا من سجنهم قبل تنفيذ حكم الإعدام بعد اندلاع حرب إبريل **2023**م بالخرطوم !! دارت أفكار في راس حميراء بأن تخبر صديقاتها لتستنتج بعد من ردة فِعلهن عند سِماعهن لِهذا الخبر إذ لم تلتقِ البتة أيٌّ من تلك الفتيات بعباس وجهًا لوجه، لكن بماذا ترد على عباس، رفيق الطفولة؟

تدور في مُخيلتها مجموعة من الردود ومنها قبول مقترح عباس الذي قدمه للتوّ، وأيضًا أرادت أن تقول له: دعنا نتقابل عند ساحة المدرسة في ظهيرة يوم غداً، استبعدت هذا الرد تمامًا وظنت أنه يجعلها في ورطة إذا رآها أخوها الذي دائمًا ما يجلس مع أصدقائه في ساحة المدرسة في هذا التوقيت وهم يتسكعون وينظرون إلى التلميذات القادمات من المدرسة في هذا الزمن تحديدًا، وأيضًا خطر على بالها أن تخبره بأن يلتقيا في شارع البحر

عند الساعة الخامسة مساءً، هي تذهب في مثل هذا التوقيت لجلب الماء من البحر الذي يبعد عنهم مسافة ثلاثة كيلو متر تقريبًا، بحمار أبيض اللون يتلون خشمه باللون الأسود تمامًا، ظهر الحمار طويل وذيله ناعم كما ذيل الحصان في ميدان الفروسية، حسمت هذا الأمر بأن ترد عليه وتخبره بتوددٍ وبصوتٍ منخفضٍ قالت:

دعنا نلتقي في طريق البحر إن كنت لا تمانع عند الخامسة مساءً من كل يوم إن كنت لا تشغل عملًا في هذا التوقيت، من جانبي هو أنسب مكان يا عباس رجاءً أقبل هذا وأكون مسرورة لك على تقبل رأي واحترامي بالتأكيد.

أسر عباس بتدفق سيل الكلام الذي سمعه منها كاد يحلّق في الفضاء فرحًا وغمرته كلماتها وحديثها بالصوت الأنثوي المفعم بالشجن ذاته، وتودد كلماتها وحروفها وهي تخرج من فمها وهو ينظر إلى شفتيها وهما تتحركان عندما تتكلم بالصوت المنخفض ذاته الذي تمجده أنوثتها، قال عباس محدّثًا نفسه: هذا أنسب مكان لأن نلتقي فيه! ونظر في عينيها وأخرج المشط الذي يضعه دائمًا عندما يخرج من منزله في الجيب الخلفي لبنطاله الأسود اللون ذي الماركة الإيطالية وأخبرها بأنه أسر وأعجب بهذا

المكان والتوقيت أيضًا يتناسب مع برنامجه اليومي إذاً هو أنسب مكان لكليهما ويلتقيان ليُكملا ما ابتدر من نقاش، يتجاذبان أطراف الكلام في غضون دقائق من الزمن تكفي مبدئيًا أن يتعرفا أكثر على بعضهما البعض، وهذا ما كان له أن يكون أراد أن يعلم أكثر لماذا لم تكمل حميراء الجامعة، لماذا لم تكمل تعليمها وهي من تلك الأسرة العريقة المثقفة المتحضرة، أسرة العميد كما يطلقون عليها هذا الاسم في الحيّ.

حرفيًا حُسم أمر اللقاء واتفقا على الزمان والمكان المناسب لكليهما وصارا يلتقيا، فمن لقائهما مصادفة تحول إلى بوح القلوب بالمشاعر والصداقة والحبّ والعشق.

****

الفصل الثاني

زار زيد صديقه عباس في منزلهم، وزيد من المكون الاجتماعي ذاته لعباس هو أيضًا من أسرة صغيرة نشأت في المنطقة ذاتها، فقد والده ووالدته وهو في سن العاشرة من عمره تعلم التعليم الابتدائي والثانوي ولم يكمل الجامعة نسبة للظروف المادية التي واجهته، درس مع عباس في المراحل الأولية وكانا صديقين لائقين ببعضهما، تربطهما علاقة صداقة دامت أكثر من عشرة سنوات، وكانا لا يفترقان إلا عند ساعات العمل، لم يحكِ عباس لصديقه عما حدث بينه وبين تلك الفتاة الجميلة ذات الجسم الساحر الجذاب، ليس لشيء فقط لأنهما انشغلا بالحديث بينهما وتسامرا لفترة قصيرة تتخللها ضحكاتهما وذكرياتهما الجميلة، ربما أراد عباس أن يخبر صديقه في جلسة يتم الترتيب لها مسبقًا ليشربا خلالها القهوة ويستمتعا بوقتِهما ويلعبا لعبة (سيجا) وكانا يلعبان هذه اللعبة في كلّ مرة عندما يلتقيان قال عباس: نحن مشتاقان كثيراً يا عزيزي.. كأنك لم تكن في المنطقة نحن لم نلتقِ منذ زمن، أين أنت بحق السماء؟ فرد عليه زيد:

أشواق كثيرة يا صديقي الجميل.. أنا بخير لا تضجر، ولن نفترق مجددًا، ثمّ قدم زيد مقترحًا أن يقوموا بزيارة إلى صديقهما جادين يوم الجمعة القادم.

إنّ صديقهما جادين من قبيلة الانقسنا التابعة لعمودية قبانيت، نشأت أسرته بجبل قبانيت جنوب النيل الأزرق، جاءت بهم الحرب إلى منطقة الشهيد أفندي ورحلوا منها لاحقًا إلى شمال الروصيرص، واستقر بهم الحال في المنطقة ذاتها التي يسكن فيها عباس وزيد، ومن هنا بدأت علاقتهما التي امتدت من الدراسة وأماكن اللعب، لكنّ جادين ترك الدراسة مبكرًا وكان يرعى المواشي في منطقة رعوية بالقرب من المكان الذي يسكن فيه أصدقاؤه، أُعجب عباس بفكرة زيارة جادين ورحّب بها وانتابته فرحة عارمة وقال:

يا إلهي!

يا إلهي!

وربّ السماء هذا سوف يكون عملًا رائعًا جداً، وسوف نطمئن على صاحبنا الذي لم نسمع أخبارًا عنه منذ زمنٍ طويلٍ، وأنّنا لا نعرف ما يمر به من فرح أو حزن، صحة أو مرض، رضا أوغضب وكيف تسير حياته بعد

أن ترك الدراسة منذ أن كان في المرحلة الابتدائية، إنّها أسئلة مؤجلة إلى حين وصولهما إلى صديقهما الجميل، صديق الطفولة والدراسة.

سأل عباس زيد قائلًا:

هل تعرف مكانه يا عزيزي؟

أجاب زيد: بالطبع، بالأمس تلقيت أخبارًا عن انتقاله إلى منطقتنا قبل أسبوع وهو يرعى البهائم في اتجاه كمبو ثمانية، ليس بعيدًا.

قال عباس: يا عزيزي لماذا لم تخبرني من قبل؟ ألا تعلم أنني أشتاق إلى كل أصحابنا؟ خاصة جادين والذين لم نلتقِ بهم منذ أن تركوا الدراسة

رد عليه زيد في عجالة:

لا تتضجر يا صديقي المخلص إنه لأمر جلل حقًا، لكنّها سيرورة الحياة الشريرة تنسينا أن نستمتع بأوقاتنا مع رفاقنا الذين افتقدناهم في اللحظات الجميلة، لكن ذلك لن يدوم طويلًا سوف نلتقي به ولا تتعجل.

ربت زيد على كتف عباس قائلًا: فلنذهب إن الوقت يسرقنا، إن صديقنا الجميل ينتظرنا.

جمعا أمتعتهما التي تخصهما في رحلتهما سويًا، وحملا كل احتياجاتهما واشتريا من دكان العمدة باكو سجائر وربع تباكُو وعِلبة كبريت بها عشرة كبريتات، وسكرًا وزن خمسة كيلو، وكيلو شاي، وكيس خضار وربع ملوه بلح بركاوي كما حملا كيسًا ممتلئًا بالخبز المُقمر الفاخر، واتجها قاصدين صديقهما العزيز إليهما الذي يملأ الشوق جفونهما لرؤيته.

عندما وصلوا وجدوا شابًا أحمر اللون شعره أشقر يرتدي جلبابًا (جلابية) لونه يشبه لون حجر العطرون، خفيفًا وممزقًا في منطقة الكتفين ومليئًا بشوك الحسكنيت، يربط وسط رأسه بقطعة (شال) من قماش كان أبيض ناصعًا وتبدل لونه إلى لون يشبه البصلي، ألقيا عليه السلام وسألاه عن شاب يدعى جادين يرعى في هذه المنطقة، أجاب بصوت جهوريّ قائلًا: نعم أعرفه حق المعرفة أتقصِدان جادين الإنقسناوي أليس كذلك؟

هزّ الاثنان معًا رأسِيهما حركة من أعلى إلى أسفل تدل على كلمة نعم.. نعم، فلتخبرنا إذاً عن المكان الذي يرعى فيه، قال لهما: هناك مكانه مؤشرًا بإصبع السبابة نحو الاتجاه الجنوبي على شجرة فيها شوك جاف تمامًا قطع من شجيرات السدر وتم وضعه في شكل دائري (زريبة) أضاف: لكنّه ذهب إلى ترعة تبعد مسافة خمسة كيلو من هنا لجلب الماء على حمارٍ له،

لونه بنيّ وسوف يعود بعد ثلاث ساعات والآن قد مضت منها ساعتان تقريبًا، فيجب عليكما انتظاره في تلك الشجرة (المراح)، لكن قبل أن تصلوا إليه، أرجوا منكما أن تجلسا قليلًا معي لتناول الماء والفطور إنكما تظهرُ عليكما آثار التعب والإرهاق من رحلة المجيء إلى هنا، إنها رحلة طويلة وشاقة، أعرف هذا جيدًا.

شكراه على حسن تعامله وأصرّ عليهما وظلّ يحلف عليهما بالجلوس حتّى وافقوا بالجلوس معه وشربا معه القليل من الماء وشكراه مجدداً واتجها نحو المكان الذي يرعى فيه صديقهما، وانتظراه وكلاهما متلهف شوقًا لرويته إلى أن جاء إليهما ولم يتعرف أيّ منهم على الآخر إلا بعد لحظات ونظرات وبدأت ذاكرة كل منهم تعيد ما جمع بين هؤلاء الصبيان الثلاثة، هما يدركان تماماً أنه جادين، رغم ما حدث له من تغيير في لونه والذي يظهر عليه آثار الشقاوة والتعب والإرهاق وما تفعله أشعة الشمس الحارقة بجسد الإنسان، لكنّه سرعان ما تذكر تلك اليد (يد عباس) التي كان يرمي بها الكرة عندما كانوا يلعبون لعبة كمبلت، إذ تلعب هذه اللعبة بين فرقين لا يشترط عدد محدد بقدر ما يشترط فيها تساوي أعداد الفريقين، ويأتي بعدد سبع طوبات من الطوب الأحمر ذي الحجم الصغير،

وتوضع طوبة في منتصف الحلبة ويترك باقي الطوب في جهة تسمى الميس ويخرج اللاعب عندما تلامس الكرة جسده أو ملابسه، وتصنع كرة اللعبة هذه من القماش بطريقة تقليدية، لكنّها تؤدي دورها بشكل ممتاز، وكان جادين من أكثراللاعبين مهارة في هذه اللعبة، واشتهر بالقفز إلى الأعلى تكاد تصل قفزته مترين إلى أعلى وأكثر ما يوقع به كان ضربات عباس الساحرة، كان عباس يجيد الرمي بمهارة فائقة ويجيد أيضًا مسك الكرة (صبها من الخصم) عانق كلٌّ منهم الآخر وتبادلوا التحيات، عباس جاء اليوم وهو خريج بكلاريوس وصديقه زيد صاحب مصنع وجادين هنا يرعى بالبهائم، الآن كل منهم يرى صداقتهم التي كبرت يومًا بعد يوم جاءت هذه اللحظات اليوم لتؤكد حدث ومشاعر لقائهم الأول قال جاديين وهو يضحك حد الثمالة وكأنه إنسان قد فاق بعد صدمة أصابته منذ زمن بعيد: تفضلا بالجلوس ووضع لكل منهما فرشة من جوال الخيش الممزق في منتصفه، ثمّ جلسا وهما يشعران بالفخر والسعادة برؤية صاحبهما الذي افتقداهُ لفترة طويلة، قدم لهما ماء من باقة من البلاستيك صفراء اللون، بماعون في شكل دائري من صنع الألومُنيوم يطلق عليه (كورة) وشرب هو الآخر، وكان يسأل عن أحوالهما، وما يمران من وضع أثناء تقديمه للماء

لهما، وهذا أدنى ما يقدمه الإنسان عندما يزوره ضيفٌ ما، وتملأ وجهه السعادة لحظة استقبال ضيفه، وهما لا يَتوقعان ما يفعله جادين بعد قليل وفجأة أخذ جادين (الكورة) يغطي سطحها الخارجي، اللون الأسود الداكن، إذ يعتقد ضيوفه أنه ذاهبٌ إلى حلب اللبن ولكنه فاجأهم تمامًا، ولا يظن أيّ منهم أن يأتي جادين بهذا الخروف الثّمين، أبيض اللون، ليرمي به على الأرض وهو مذبوح، وهاجا ورفعا صوتهما وتأسّفا وكانا يخرجان عباراتٍ وجُمل بصوتٍ واحد: يا إلهي لماذا فعلت هذا؟ هذا للضيوف أتحسبنا نحن ضيوفك يا رفيق المساحات واللحظات الجميلة؟

أجاب عليهما ورأسه للأسفل: وهل الضيف أعز إليّ منكما يا شياطين؟! وكان في صغرهما يصف كل منهم الآخر بالشيطان، هنا أدرك أصدقاؤه أنّ حاتم الطائي ليس أكثر كرمًا من صديقهما الذي ذبح لهما خروفًا باهظ الثمن، يفوق سعر شراءه تكلفة أجرة جادين لرعي هذه البهائم، هذه ليست حماقة منه، بل إنّه كرمٌ أصيل تربى عليه من أسرته وقبيلته ذات الثقافة والعادات الطيبة، تجمع ثلاثتهم حول الخروف وأمسك جادين السكين بيده اليسرى وأصحابه أي واحد منهم يمسك بجانب ليتمكن جادين من فصل جلد الخروف من اللحم (عملية السلخ) وكان

جادين يتميز بالسرعة الفائقة والبراعة في هذه العملية، وفعلًا تم سلخ الخروف ليترك جلد الخروف كأنه لم يكن في جسد الخروف دون أن يترك فراغًا في الجلد وحتى أنه لم يترك لحمًا قد التصق على جلد الخروف المذبوح حرفيًا، كان جادين بارعًا في السلخ تمامًا، قطّع جادين اللحم كله، ولم يترك منه إلا كرش الحيوان ورأسهُ وأرجله، وقد شارك صديقاه معه في تقطيع اللحم وكانا يردِدان ويهمهِمان بأغنية كانوا يغنون بها في صغرهم (بابور جاز خلي.. يشتغل الشغل بالجاز خلي يشتغل..)، فيما كان جادين يغني وصاحباه يرددان خلفه.. كتب الجواب لي أموجا ناريا معن ديارا معن ديارا..

وضع جادين ما قطّعه من لحمٍ خالٍ من العظام في ماعون شكله نصف دائري (صاج) يغطي سطحه الخارجي اللون الأسود الداكن نتيجة لما اكتسبه من دخان اللهب الكثيف، هنا لا وجود للصحة إطلاقًا ولا حتّى تفلح في ذلك إن أردت، حيث يغسل الأواني بتراب البادوبة الجاف بعد الفراغ من الأكل أوالشراب، القليل منهم يغسل بالماء فقط وليس بالماء والصابون، وبالفعل قد غسّل جادين الماعون الذي كان يقطّع فيه قِطع اللحم بعد أن وضع اللحم على الصاج ليتم طهي اللحم، قد غسله بالتراب فورًا وأصبح صالحًا لاستخدامه لتقديم الأكل أو الشراب عليه، وظل

جادين يقلب اللحم أثناء عملية الطهي بعود من شجرة الهجليج وكان بخار اللحم المرتفع من الصاج يلهب على وجهه ليلامس حاجبيه تمامًا، والنار كانت ملتهبة بشدة وقد جمع كمية كبيرة من حطب السدر والطلح والهشاب الجاف وأضرم عليهما النار، واشتعلت كأنها قد صبَّ على هذا الحطب بنزينًا من قبل، أدى هذا إلى ارتفاع درجة لهب النار لتسّهل عملية طهي اللحم بسرعة كبيرة، وبالفعل ريثما تسامر الصديقان وتذّكرا ما حدث في ماضيهما هناك، وضع جادين اللحم جاهزًا للأكل على قِطعة من شوال بلاستيك أبيض اللون، وتركه برهة من الزمن ليبرد قليلًا وزيد يتلهف إلى أكل اللحم، وكان لا يأكل اللحم إلّا في يوم العيد وأحيانًا عندما تكون هناك وليمة لاستقبال زعيم قبيلة أو مسؤول يأتي لتدشين الحملات الانتخابية في قريتهم النائية الصغيرة الطرفية، والتي تنعدم فيها الخدمات الضرورية للحياة، على سبيل المثال لا توجد في القرية الكهرباء العامة، وأيضًا ضعف خطوط شبكات الاتصال الأساسية في البلاد وأحيانًا قد تقطع لفترات طويلة، أما الماء فيعتمد إنسان هذه القرية على ماء البحر، والذي يتغير الماء في فصل الخريف إلى لون أحمر غامق، بفعل السيول والفيضانات ومجاري الأنهار التي تصب في البحر، ليصبح غير صالح لغسيل

الملابس والاستحمام وطهي الطعام، وتستعمل مادة مساعدة في تنقية الماء بشكل تقليدي تسمى (الرواق) وهو حبات بيضاء اللون من شجر الأراك، وأيضًا تستخدم طينة من طين البحر لتنقية الماء ليصبح صالحًا للاستخدام دون أن يحدث ذلك تغيراً في طعم الماء الأصلي، والآن قد دنوا جميعًا حول مائدة اللحم المشوي.

قال عباس مداعبًا رفقاءه: كنتما تخبرانني لأجهز سنوني حتّ يصبحن قادرات على مضغ اللحم جيدًّا، نظر جادين نحو عباس وضحك بصوت عالٍ كما كان يضحك في صغره وقال له: نحن لحمنا ده كما عندك سنون زاتو تستطيع أن تأكله بأريحية إنه يا عزيزي لحم هش، ثمين، فريش، وصافٍ خالٍ من العظام تمامًا.

اكتفى زيد بالصمت وعدم التعليق ملتزمًا الصمت أثناء الكلام (هذا ما تعلمه من دروس في آداب الأكل)، وكان يشارك بالضحك والتركيز في سماع ما يتناوله أصدقاؤه من كلام، سأل عباس جادين: كيف تشعل هذه النار أثناء المطر في فصل الخريف؟ أم أنك ربما تموت جوعًا في أسبوع عينة الطرفة؟ فرد جادين على هذا السؤال ربما كان يريد أن يخبر أصحابه ما يمكن أن يفعله الإنسان ببراعة حتى في الظروف القاسية واللحظات

التي لا تجد أحدًا ينقذك من الموت، ربما عقلك وتفكيرك وحدهما من ينقذاك حقًا لا توجد نار بالقرب، لا يقف المطر عند هطوله في هذه الساعات، وقد كان الإنسان يتضور جوعًا وبردًا من شدة هطول المطر بشكل مستمر لساعاتٍ متواصلة بلا انقطاع، فقال له: أترى هذه يا عباس؟! مؤشرًا بعصا من القنا كان يحملها في يده اليسرى نحو قطعة من أنبوب عجل السيارات، أجاب عباس وهزّ رأسه، فأضاف جادين: بالطبع قد رأيتها منذ أن أتيت إلى هنا وشاهدتها بكمية كبيرة، إنها تساعد في عملية اشتعال النار يا صديقي، إذ نشعل عليها بارود عود الكبريت فتشعل هي الحطب كما البنزين الذي يشعل لستك عجل السيارات الذي يستخدمه الشباب في تتريس الشوارع، معبرين عن مقاومتهم للأنظمة الحاكمة التي لا تعّبر عن آمال وأحلام وطموحات هذه الأجيال، سريعًا ما يخرج المواطن ضدها ويعّبر عن رفضه للنظام الحاكم، فتعجب رفيقا جادين بهذا التفكير وقال عباس: ورب السماء إن جلسنا لفترة طويلة بصحبة عزيزي جادين قد نرى إبداعًا أكثر مما قام به مخترع المصباح الكهربائي، حرفيًا قد اكتسبت مهارات وخبرات كثيرة جداً يا جادين، تعلمت دروسًا وحِكمًا هنا كبرت بعقلك فينا، ظلّ عباس يمدح جادين كثيراً.

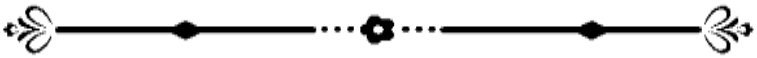

الفصل الثالث

قال جادين مداعبًا عباس: كُل يا عزيزي من هذا الطعام الذي لم تأكله بعد من يد حميراء، إذًا هيّا نتناول هذا الصنع المبارك... دنا كلاهما حول صاج اللحم المشوي بشراهة، وأضاف: إنّه يا عزيزي لحم ضأن طُهي بحبّ، وأكلوا حتّى شبعوا، وكان زيد لم يستطع القيام من مجلسه ليغسل يديه بعد فراغه من الطعام، إنه قد أصيب بإغماء نصف كامل كأنه بحاجة أن يتقيأ، قال جادين وهو مبتسم:

إنه جنون اللحم عندما تشبع منه!

فعليًا قد يصيب الجسم كليًا بالكسل والفتور وعدم الحركة والرغبة في النوم.

قال عباس: هل لنا من مشروب مساعد للهضم؟

ضحك جادين بصوت عالٍ، ورد له في عجالة: أنا لست بحاتم الطائي! لم يقصد جادين بكلامه هذا شيئًا، بيد أنه أراد مداعبة أصدقائه، ذهب

تفكير عباس بعيدًا وأثار في مخيلته عدة أسئلة، ماذا يقصد جادين بسؤاله هذا؟

هناك أيضًا زيد بدأ يتفرج ويبدوغاضبًا من كلام عباس، وكان يبحث عن كلام يخرج به عباس من هذا المأزق بيد أنهما في مخيلة عباس معنيان بسؤال جادين، وعدم تقديم إجابة ربما يزج هنا الطابع القبلي والاثني، بلا أدنى شك نجد أن ثلاثتهم ترعرعوا ونشؤوا معًا وكانوا كلهم قد تجاوزوا صك القبلية التي تطغى وتفرق أحيانًا حتّى بين الصداقة، وكانوا لا ينظرون إلى اختلاف لونهم واختلاف قبائلهم وعِرقهم بقدر ما كانوا ينشرون الوعي بقبول الآخر، ونشر قيم الإنسانية بين رفقائهم، ومتى ما كان هناك تجمع بين الشباب، كانوا سبّاقين للمبادرات التي توحد بين المواطنين، وكانوا يستنكرون العنصرية البغيضة منذ صغرهم عندما كانوا طلابًا في المدرسة الابتدائية، كانوا يدركون أنّ لا تمييز بين الإنسان والإنسان الآخر إلا بالتقوى، زاد كلام جادين جنون عباس إلى حميراء، الذي لم يسمع عنها خبرًا ولم يدرِ ماذا حلَّ بها في فترة فراقهما وبعدهما عن بعض، كانت حميراء ذات أنوثة ناضجة، صدرها ناهد، وشعرها أسود طويل لامع مسترسل ويصل إلى منتصف ظهرها تمامًا.

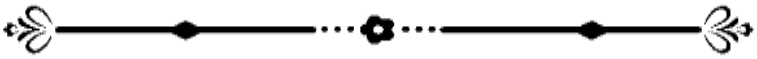

فلَم تُحب أن تسْرحه وتكتفي بربطه حول عنقها، وعينيها.

ما أجمل عينيها!

فلون عينيها نادر.

نادر جدًا.

فلونها أخضر تظهر فيه صفرة خفيفة.

ويخيّل إليك أنّ الحقول الخضراء والصحراء الصفراء قد امتزجتا معًا في سيمفونية رائعة الجمال.

وعيناها واسعتان يحفّاهما حاجبان كثيفان جَميلان.

أما أهدابها فطويلة جدًا كأنّها مظلة تحمي عينيها من كلّ الحاسدين.

أما ردفيها وساقاها جميلتان بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ..

والقدِ والخصر والطول..

كل ذلك.

فلم يسمع عباس عنها منذ زمنٍ بعيدٍ.

قال جاديين:

وشفتاه ترسمان ابتسامة نبيلة، وحس الصداقة التي جَمعتهم، وهو يمزح كعادته: أتريدون مشروبًا بلديًا يساعد على الهضم أليس كذلك يا أصدقائي الجميلين؟

حَملقا على وجهه بدهشة وفي لحظة خاطفة أجابا بصوتٍ واحدٍ:

نعم.. نعم بالطبع نحتاج إلى هذا المشروب اللذيذ.

وكان جادين يريد أن يوفر لهما مشروب البلح (الخمر)، لكن فشلت كل محاولاته واجتهاده في توفيره، وأخبرهما قائلًا:

اللعنة!

لم أجده كان هنا قبل ساعة من مجيئكما.

رد عباس قائلًا:

لا تكترث لأمره.

دعه إلى الجحيم، كنا نريد أن نحتسي منه لنعيد سيرة التاريخ، البدايات واللحظات حيث كان من الماضي جَنبة حاجة كلثوم، حانة ميري، عمك باولينو، كومندان، أجاي، الهادي سمك.

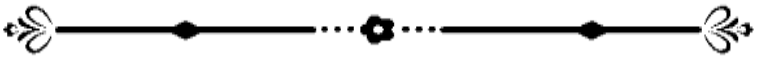

ولحظتها أطلق جادين ضحكته المجلجلة بصوت عالٍ مردداً: أجاي هههه آه أجاي! وتذكر للتوّ ما كان بينه وبين أجاي من لحظات وحكايات جمعته مع أجاي عندما كانوا يعاكسون الفتيات على الطرقات، وكانوا يضربون الشباب ولا يبالون ليثبتوا للجميلات أنّهم رجال يمكن السند عليهم.

إنّها الساعة الخامسة مساءً بتوقيت المنطقة اقترح عباس العودة إلى الديار، تاركًا أجمل لحظات جمعتهم مع صديقهم العزيز بعد زمن طويل وطويل جدًا تذكروا فيها الصداقة، الطفولة، الروضة، المدرسة، وميادين اللعب لحظات حقًا كانت جميلة يا عزيزي وزمن أرّخه التاريخ في وجدانهم، أعادوا في هذا المجلس العظيم أروع أيامهم التي عاشوها معاً.

اللحظات التي لا تُنسى.

ذاكرة شغبهم.

طفولتهم.

حياتهم البدائية.

لحظاتهم الأولى.

وكان لقاؤهم حافلًا بالتاريخ واللحظات والذكريات المنسية، لم يتوقع جادين قدومهما في هذا المكان كما أنه لم يتوقع أن يمضي الوقت سريعًا ويفترقا خلال هذه الساعات التي أعادت إليه شغف حبه للحياة، كلهم استمتع بهذه اللحظات وتعاهدوا أن يلتقوا في أقرب وقت ممكن من الأيام القادمة.

****

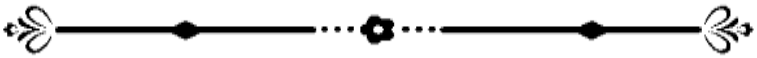

الفصل الرابع

عباس لم ينَم طوال الليلة صار قلقًا، ينزل من سريره وتارة يرجع ينام على سريره، يتقلّب ذات اليمين وذات الشمال، عبثاً محاولاً استدراج النعاس إلى عينيه، لكنّه لا ينام هكذا كان يدور ويدور حول محيط غرفته حتّى الساعات الأولى من اليوم التالي ماذا يفعل إذًا؟

إنّه مضجر وحالته صارت سيئة.

أراد عباس أن يصرخ لكنّه يعلم أن الصراخ في هذه اللحظة غير مجدٍ، قال:

ما هذا بحق السماء؟

هذه الليلة لن تمضي، إنها ليلة طويلة جداً!

أنا أصارع الزمن وحدي، أنا أقاوم وحدي.

أريد أن ألتقي بها لم تفارق ملامحها وجهي إنها سكنت في عقلي، وشغلت كلّ تفكيري أريد أن أرتمي بين ذراعيها!

أريد أن أحضنها!

أنا أحمل لها خبر حياتها الذي تنتظره أريد أن أخبرها بميعاد عقد قراني منها.

أراد عباس أن يخبر والدته بما يحدث معه إنّها كاتمة أسراره ومعجبة بقراراته، أراد أن يخبرها حّتى يعلنوا مراسم الزواج، كان عباس يدرك أن والدته توافق إذا اختار من بنات الحي الذي يقع بالقرب منهم، لأنها تعرفهن جيدًا تعرف سلوكهّن وعاداتهّن وحتى نفسياتهّن أيضاً.

هذا الليل لم ينتهِ بعد، ولن يمضي إنه يتوق إلى رؤية حبيبته التي فطرت قلبه وملأت فواده بالعشق الجميل.

تحدث مع ظله الذي انعكس من ضوء القمر ليلًا ونسميه مجازًا (ضُل الليل) قائلاً:

أخبرني كيف يكون الحال؟

إن لم ألتقِ بها غدًا مجددًا!

ماذا يحدث لي؟

أنا لا أتحمل العواقب، أنا أحيا فقط بقربها مني ووجودها في حياتي.

أراد أن يهديها خاتمًا من الفضة، ولتكن بداية لنهاية هذا الحبّ وتتويجه بعقد قرانه منها.

التقيا مجددًا وكلاهما قد اشتاق للآخر كثيرًا، أخبرها بما ينوي فعله، أخبرها بأنهما سوف تقام لهما أكبر حفلة في المنطقة، يأتي إليها الحكّام والفنانون ليغنوا لنا وليُطربوا أهالي المنطقة ويجلبون المادحين لينشِدوا الأناشيد المحمدية عند ساعات الغداء، هكذا كانوا يفعلون في المناسبات التي تشهدها المنطقة، باغتته وهو يسرد لها ووجهه كان بشوشًا وشفتاه تتبسمان بما يتحدث به قائلة له:

إذاً ليكتبوا لنا تاريخاً بهذه الورقة وتصبح حياتنا مقيدة ومكبلة بها بعد ذلك أليس كذلك؟

رد عباس وهو ينظر في عينيها التي فتن بِهما:

أجل، سوف يتم العقد لنا عند مأذون المنطقة ويتم تحديد ميعاد زفافنا بعد الإفراغ من كرنفالات العقد.

حميراء رغم أنّها لم تكمل الجامعة وتربت في المنطقة ذاتها التي تربى عليها عباس، لكنّها كانت تعيش في المدينة وفي كلّ مكان ينتقل فيه والدها أثناء عمله بالقوات المسلحة، عاشت في معظم مدن السودان منها نذكر جياد، كنانة، الأبيض، نيالا، سنار، الخرطوم والنيل الأزرق، كانت تنظر إلى عالم آخر، كانت تدرك أن عباس يحبّها، لكنّها رغم ذلك كان لديها الكثير من

الانتقادات والآراء حول وثيقة العقد لا تعترف بهذه الوثيقة البتة، لكن عباس لم يفهم ما ترمي له عشيقته، هي تريد زواجًا عن حبٍ، زواجًا لا يكبل حياتها تُريد أن تبني أسرتها الجديدة مع زوج مثقفٍ وواعٍ، يسكن في المدينة حيث الخدمات والتكنولوجيا والملاهي وأماكن الترفيه، والتقدم الحضاري.

حرفيًا إنّها لم ترِد العيش في هذه القرية النائية، لا تريد أن تعيش في عُزلة عن العالم، إنّها تحبّ حياة المدن ورفاهيتها تكمن في المدينة، هذا واضح جدًا من خلال كلامها مع عباس.

نظر إليها عباس وقال:

هيّا لنتزوج ونملأ منزلنا أطفالًا وسعادة.

يا روحي أنا أعشقك حد الموت.

رغم الأحاديث البائسة.

رغم مجتمعي الذليل.

رغم آهات الليالي.

أنتِ فجري.

أنتِ حلمي.

بعد ليل طويل.

تغلغل حبك في داخلي وانتشى.

أنا أحبك بجنون.

هيّا نتوج هذا الحبّ ونحقق حلمنا ونعيش حياتنا كما نود.

ردت إليه وهي تشعر بالامتعاض منه وتنظر إليه بوجه لم يرَه عباس من قبل، عيناها احمرتا من الغضب، تغيّرت ملامح وجهها تمامًا قالت: الأفضل أن نؤجل هذا السخف رجاءً!

عباس درس دروسًا عن لغة الجسد، وكان يفهم ما برز من علامات على وجهها كردة فعل عندما سمعت كلامه الذي ألغاه، رغم أنه كان يدرك أنها تبتهج من الفرح عند سماعها لهذا الكلام الذي يذهب نحو تحقيق حلمهما سويًا، إن استمرا معًا.

أتقولين سخفًا؟

عن أي سخف تتحدثين؟

هل علاقتنا الجميلة!

حبنا عشقنا أصبح سخفًا؟

لا.. لا ماذا هذا الهراء والافتراء؟

أنت تعلمين أنني أصبحت أحيا فقط من أجلك.

إنّني أحبك كثيراً!

والدتي أيضًا تحبّك.

فرحت بك كثيرًا عندما علمت.

نحن جميعنا نحبّك، أتعلمين هذا؟

ونريد أن تكوني في منزلنا لتُزيني منزِلنا بجمالك، ودهائك، بلاغتك، ذكائك وحكمة عقلك الرصين.

انهارَ عباس من الغضب، وكاد يفقد السيطرة على نفسه، وأيضًا لم يقف عن توجيه الأسئلة لها بشكل متتالٍ حتّى أنه لا ينتظر منها إجابة:

أتعلمين أننا دعونا أصدقاءنا ومعارفنا وكل أهالي المنطقة، دعونا الجميع لم نستثنِ أحدًا نعرفه، ماذا نفعل أنت قد وافقتِ على هذا من قبل! أتظنين أنه مزحة!

إننا سوف نتزوج يا سيدة جميلة جميلات المنطقة؟

قالت: أنا لن أتزوجك بهذه الطريقة

مقاطعًا حديثها: إذًا كيف نتزوج يا عزيزتي؟

هيّا أخبريني،

كاد يقبّل شفتيها في هذه اللحظة ولكنّه تراجع،

كيف إذًا نتزوج يا جوهرتي؟

ردت إليه ببرود: انتظر يا عباس دع علاقتنا تقوى أكثر لم يمضِ الوقت بعد، ابتسم وهو يسمع لها!

قال:

إذًا هناك من وسوس لعقلك وشوه تفكيرك وغيّر هدف حياتك، عليه من الآن نحن نسير في تيارين مختلفين تمامًا بعد هذا.

أليس كذلك؟

أم تظنين أنني أخالف والدي وأمي وأذهب مع تفكيرك الشيطاني هذا؟

إنها جريئة رُغم الكلام الذي قيل في وجهها، انتظرت لتوصل فهمها لعباس، إذًا يا صديقي أنت عقلك مجمد لطالما لا تستطيع تجاوز رغبات واختيارات والدك في بناء أسرتك التي تنتظرك، وأيضًا اختيار والدتك لشريكة حياتك ما هذا بحق السماء أنا لست حبيسة تفكير أبي كما أنّ عقلي ليست عقل أمي!

أنا أدرك ما يقع على عاتقي، أنا أتحمل مسؤولية اختياراتي لوحدي حياتي ليست ملك لأحد، ليفعل بها ما يريد، أنا إنسانة عاقلة ولستُ دمية يلعب بها الأطفال وكل من أراد، فلتفهم هذا جيدًا قبل أن تتزوجني.

والآن أخبرني بعد الزواج هل نعيش هنا في هذه المنطقة أم نذهب إلى المدينة؟

أنا رغبتي أن نعيش في المدينة ليحصل أبناؤنا على أفضل تعليم، ونعيش حياة كريمة تشبه طموحاتنا وأحلامنا وهذا ما كنت تعدني به دائمًا ألا تتذكر؟

أم كان مجرد كلام عابر، لتحصل على ما تريد وقتها؟

أنت تعلم أنّ والدك لا يسمح لك أن تغادر هذه المنطقة، هل تفعل ذلك وتخالف كلام والدك؟

هل تترك هذه المنطقة التي ترتبط ذكرياتك بها، هل تغادر منزل أجدادك الذي تملؤه أشجار البان، الدليب، المانجو، الجوافة، النيم، العرديب والسنط أتترك هذه الطبيعة كلها وتغادر بعيدًا؟

هيّا أخبرني، حقًا أريد أن أعرف، أريد أجوبة لأسئلتي هذه أريد أن نضمن مستقبلًا معافىً لأبنائنا، نحن في عصر الحداثة يا صديقي فلْتفهم ذلك جيدًا.

حرفيًا إنّها نجحت بشخصيتها الفريدة تلك في شق طريقها وسط هذا المجتمع القروي.

ذهب عباس مسرعًا ولم يتفوّه بكلمة بعد سماعه لهذا الكلام، ذهب إلى والده وأمه وأخبرهم أنه ذاهب إلى رحلة عمل في المدينة.

غضب والده عندما سمع كلمات عباس وكاد يضربه على وجهه وأمام والدته، ولكنه صرخ بأعلى صوت ويشير بإصبع السبابة في وجه عباس ويده تهتز من الغضب قال:

إنك قد جننت إذ نحن نتحدث عن عقد قرانكما بعد يومين؛ ولدك فقد صوابه يا حاجة سعدية! قالت حاجة سعدية بتودد:

امنحه مساحة وفرصة ليحكي ماذا حصل وماذا حل به ليتخذ قراره فجأة دون أن يتكلم عن هذا الأمر من قبل ولو بشكل ودي.

جمع عباس قوته ليرد في وجه أبيه الذي يملؤه الغضب، قال موجهًا كلامه إليهم:

أنا أريد أن أسكن في المدينة ونعيش هناك كما أنني وجدت وظيفة في مصنع لصاحب لي في المدينة هناك نعمل ونأسِس مستقبلنا، وسمعت أنه مصنع مرموق يحمل سمعة كبيرة وسط السوق التجاري المحلي والدولي.

قال والده:

إذًا أتريد أن تهجر القرية التي تربيت وترعرعت فيها، القرية التي احتضنتك منذ نمو نواعم أظافرك، أتريد أن تترك هذا المجتمع الذي تغمره السعادة ويعظمه التماسك الاجتماعي بين مكوناته، أتريد أن تقطع دعاءك لجدك الذي تدعو له في قبره كل جمعة، ماذا حل بعقلك يا بُني نحن نريد أن نفرح بك، نريد أن نسعد معك وأن نشارك أبناءك ما تبقى من عمرنا، أقسم أنني سوف أنظم أكبر حفلة زواج لك في المنطقة!

فرح عباس برد أبيه وواصل حواره: يا أبي العزيز، أنا لن أنقطع عن القرية، أنا فقط أعمل هناك وسوف آتي إليكما في كل عطلة، ما أريده أن يحصل أبناؤنا على أفضل تعليم أرجو أن تتفهم الأمر يا أبي! أومأ والده برأسه ورد قائلًا: لا تهتمِمْ لهذا كثيرًا يا بُنّي الطموح، ولا تشغل تفكيرك سوف نرسل أبناءك إلى عمهم في المدينة ليدرسوا في أفضل المدارس هناك.

فرد عليه: يا أبي العزيز أنت تعلم أنّ الأبناء بحاجة إلى والدتهم في سن الصغر، لذلك من الأفضل أن تكون أمهم إلى جانبهم. قاطعه والده قائلًا: ليست كما تتصور وإلا فلترسل أمهم معهم إذًا إلى منزل عمك هو يمتلك منزلًا ضخمًا في المدينة، أنا سوف أخبره ليقوم باللازم معكم.

عباس أدرك أنه لم يفلح في إقناع والده من خلال هذا الحوار، لكن عليه أن يستمر في ذلك وإلا سوف يفقد حبه الوحيد، ويكون مصير زواجه من فتاة تختارها له والدته.

استأذن عباس ببراءة من والديه قال:

إنّني متعب هذه اللحظات فلتسِمحوا لي أن أرتاح قليلًا، والده لم يعجبه هذا التصرف كيف لعباس أن يقوم من مجلس أُعد لمناقشة أمر يخص حياة ومصير عباس نفسه.

والده سمح له بذلك، ونظر إليه نظرة صارمة قائلًا: الإذن لك يا بُني، ولكن تذكّر أننا بعد يوم سنعقد لكما، وأردف قائلًا:

فلُتجهز نفسك من الآن أنت عريس.

ذهب عباس إلى غرفته ولم يستطع أن ينام، تجمد تفكيره، كيف له أن يقنع والده بهذي المبادئ والتقاليد، كيف له أن يقنعه ويعلم أنّ والده ذو حكمة ويمتلك مهارات عالية في التفاوض والإقناع وأن منطقه لن يقنعه بذلك!

جاء عباس مبكرًا إلى والده ووجد أنّ والده لم ينهض من سجاد الصلاة، وكان في لحظات الدعاء الأخير واتجه نحو عباس وناداه إليه: هيّا اقترب إليّ يا بُني تعالَ اجلس بقربي أنا أشتاق إليك وأريد أن أسمع ما يدور في عقلك، حدثنا عن مستقبلك، لتُبهرني به، حدثني أيضًا عن ترتيبات الزواج، حدثنا بما تفكر به حيال وظيفتك، ماذا يدور في عالمك، نحن نريد أن نفرح بك ونفرح معك ونرى إنجازاتك، ننتظر أن نرى النور لهذه القرية، إنّها تنتظر أن تترجم رؤاك والخطط التي أعددتها من أجل تطويرها وإعمارها، أتظن بأنني نسيت هذا؟

الإنسان بطبيعة حاله ما تذكره في دقيقة ينساه في دقيقة، لكنّني لن أنسى كل من أراد أن يضع لبنة من أجل تنمية قريتنا، تذكّر ذلك جيدًا.

قال عباس وهو في حضن والده:

يا أبي العزيز لديّ كلام أود أن أقوله لك الآن. قال والده: تكلم كلي آذان صاغية لك.

فقال: إذًا ما دمت كذلك فهو طلب واحد ومهم جدًا.

قال والده:

قل طلبك ليطمئن بالك.

قال عباس: أنا حسمت أمري سوف أغادر اليوم للعمل في المدينة، دعنا نؤجل هذا العقد إلى الشهر القادم يا أبي.

قال والده:

إذًا هذه رغبتك الأخيرة وطلبك الأخير من والدك أليس كذلك يا عباس؟

هزّ عباس رأسه إلى أسفل وأعلى وقال بكل ثقة: أجل ويكون من الأفضل ألا يعارض أبي العزيز هذا الطلب.

غضب والده كثيرًا كأنه تلعثم لسانه بعد ذلك، قال له كلمته الأخيرة:

إذًا رافقتك السلامة يا بُني، لكن تذكر دائمًا من الآن طرقنا اختلفت، وحياتنا تفرقت بسبب أفكارك الطائشة، وإنّني لن آتي معك إلى أيّ مكان، ولن أغادر منطقتي، أنا لن أبرح منزل جدك إلى الأبد سوف أدفن هنا، ولن أكون وكيلًا لك في زواجك، ولن أكون عائقًا كذلك، والآن إن استطعت اذهب وودع والدتك، ولن ترى وجهي مجددًا.

أشار إليه بيده اليمنى، ودخل إلى غرفته وأغلق الباب من خلفه.

عباس لم يتأثر بكلام والده، كان يعتقد بأنّ هذا كلام عاديّ، ويأتي مع مرور الزمن إلى زيارة والده في أيّ زمان ومكان متى ما أراد.

عباس لم يخُض حوارًا طويلًا مع والدته بخصوص هذا الموضوع وقال لها:

اتفقنا أنا وأبي على تأجيل العقد إلى الشهر القادم، أنا ذاهبٌ إلى المدينة للعمل.

لم تصدق والدته ذلك، لكن لا تريد أن تعترض طريق ابنها، خاصة أنّه أوّل مرّة يذهب إلى العمل خارج المنطقة، وظلّت توصيه وصية أم إلى ابنها وهو يغادر منها إلى مكان بعيد: لا تأمنن أحدًا هناك، خلِّ بالك على نفسك، لا تثق بالغرباء، كن مخلصًا في عملك، ولا تتضجر من عملك.

ذهب عباس إلى العمل وصارت الأمور إلى صالحه، وأسس له شركة إنتاج وكبر اسمه في السوق، وبنى له منزلًا ضخمًا في المدينة بالقرب من النيل، ماذا يريد أكثر من ذلك إنها رغبة عشقه الوحيد.

أرسل عباس برقية إلى والده طلب فيها من والده أن يعقد له في المنطقة على حميراء بت حاج مساعد، استلم والده البرقية وأرسل في الحال ردًا سريعًا على كلامه وطلبه، وكان رافضًا وأنه لن يصبح وكيلًا لابنه.

قال: يا بُني أنت الآن اسمك ذاع صيته في السوق كبرت وكبر عقلك أيضًا، وتمتلك كل شيء، إذًا أنت لست بحاجةً إليّ، تذكر ما قلته لك مسبقاً لن أذهب معك إلى أيّ زواج تقوم به، ولن أعيق طريقك، فلتذهب إلى ما بدأت في طريقك لوحدك ونفذ قراراتك الطائشة، لن أكون بجانبك الآن افهم ذلك جيدًا.

لأوّل مرّة يفهم عباس معنى ذلك، وكان رد والده كالصاعقة.

انهار عباس كليًا لقد فقدَ أعصابه، كان قلقًا جدًا من موقف والده، كان يدور حول غرفته لساعاتٍ متأخرة، انهمر بالبكاء وسالت دموعه كالمطر، إلّا أنّ رغبة عباس لم تمنعه رغم كلام والده له، إصراره على أنّه سَيتزوج من الفتاة التي أحبّها قلبه، ورأتها عينه ولم ترَ غيرها، الفتاة التي افتتن بها، سيتزوج ولن يعيش في هذه القرية التي لم ترَ النور بعد، ولن يبالي لِعادات ومبادئ وأخلاق والده، إنّه سيحقق رغبته وليس رغبة أبيه، إنه يذهب خلف تحقيق حلم قلبه، ومصير حياته.

أرسل عباس إلى خاله برقية عاجلة كتب إليه:

أن يذهب مع والدته ويشرعُوا في إجراءات ومراسم العقد في الحال.

استجاب خاله لرغبته وفعليًا تم ذلك.

مكث عباس أيامًا وهو يفكر حيال موقف والده، هل هذا الوضع يستمر كثيرًا؟

ماذا أفعل؟

أنا لا أحتمل فراقه.

كيف أستعيد علاقتي مع والدي؟

خاض عباس صراعًا طويلًا مع نفسه، لكنّه لم ينجح، الآن لا يستطيع السيطرة على غُدده الدمعية المتمردة، إذًا إنه الآن يلوذ بالبكاء مع نفسه، وقال في سرّه والعبارات تتسارع على جفنيه في صمت: فلندع القدر يفعل ما يشاء بنا، ليس لي طاقة أكثر من ذلك، إنّه والدي أعرفه جيدًا متصلبًا ومتشددًا في قراراته، إنه لن يتراجع!

وبعد فترة لم تكن طويلة إلى حدٍ ما، أرسلوا إليه زوجته إلى مكان إقامته.

عاش عباس مع حبّ حياته الأبدي في المدينة حياة كما كانا يحلمان بها ويخططان لها، وأصبح رجل أعمال وهو في ريعان شبابه، أسس العديد من شركات الإنتاج في المدينة، وأصبح رقمًا اقتصاديًا في المدينة لا يستهان به، كان مقربًا إلى النظام الحاكم واستفاد من علاقاته مع النظام الحاكم

خاصة في مسائل الضرائب وتسهيلات الجمارك وتنقلات شحن البضائع، هكذا تصاعدت حركة تجارته وعمله في سوق العمل.

عاشا معًا حياة الرفاهية وسط أبنائهم، أنجب أربعة أبناء رائعين، عاشا حياة زوجية غنية زاخرة بأحزانها وأفراحها وتجاربها المتنوعة والمتجددة، طوال كلّ هذه السنوات كانت عائلة عباس منعزلة وبعيدة عن العالم الذي يريده، يعيش في أفق اجتماعية ضيقة، وظلّ عقله مشغولًا بوالده رغم تقدمه التجاري وعلاقاته الدبلوماسية لم يكن سعيدًا، كان يريد أن يكون والده بينهم ووسط أولادهم، يشاركهم سعادتهم، حزنهم وشغفهم، كان عباس يزور القرية بعد الزواج في فتراتٍ مُتتالية ولكنّ والده لم يستقبله بالشكل الذي يريده كل ابن من والده، لذلك انقطع عباس عن زيارة القرية إلى أن جاءه نبأ وفاة والده بنوبة قلبية لم تمهله طويلًا، تأثّرعباس كثيرًا بعد سماعه لهذا الخبر الذي هزّ أعماق قلبه، حيث عزم الابتعاد عن سوق العمل شهرًا كاملًا، هذه الفترة راجع فيها قراراته، وطريقة تفكيره للحياة التي تنتظره بعد وفاة والده تأثّرعباس كثيرًا، وعاد إلى منزل جده الكبير، عاد إلى أرض أجداده وأعمامه، عاد إلى منزله وحيث ذكريات والده التي خلّدها في هذا المنزل الكبير الذي يعرفه كل من زار تلك القرية. وكان منزلهُم مأوى

وملجأ للنازِحين والذين ضلوا الطرقات، المنزل الذي يعرفه كلّ سكان القرى المجاورة لهم، عاد إلى القرية التي جعلته إنسانًا محترمًا، القرية التي ترعرع فيها، إنّها البدايات الجميلة، جاء عباس وأحدث تطويرًا كبيرًا شمل القرية كلّها أدخل إليها الخدمات الأساسية وتوافدت إليها شركات التعدين وشركات إنتاج الألبان ومصانع البلاستيك، استطاع عباس بفعله وسعيه المتواصل تطوير البنية التحتية في القرية، وأدخل إليها كافة الخدمات الأساسية وأدخل التقانة الحديثة إلى المزارعين، وقدم عباس الدعم لكافة المبادرات التي تهدف إلى تنمية القرية والمحافظة على أمنها ونظافتها، عاش عباس مع أسرته سعداء وكرماء وتربى أولادهم في المدينة، وأكْملوا تعليمهم في الخارج، وجاؤوا إلى أرضهم وهم يحملون أعلى الدرجات العلمية من الجامعات الأجنبية، وأكملوا ما تبقى من أفكارٍ وخُططٍ لإعمار القرية، هكذا أصبحت القرية بفضل جهودهم التي بُذلت حيال ذلك، قلعة للتجارة وللشركات وعاش أهالي المنطقة سعداء، وعّلموا أبناءهم وبناتهم اللاتي كانوا يُحرموهنَّ من التعليم الثانوي والتعليم خارج القرية.

كان زيد يزُورعباس من حين إلى آخر بعد أن رحل إلى المدينة، وكانوا متواصلين ومتماسكين ويتبادلون الزيارات بينهم في مواسم العيد وفي

الأحزان والأتراح كعادة السودانيين، زيد كَبُرَ مصنعُه في السوق، وأصبح من الأرقام الاقتصادية البارزة في المنطقة، وتزوج من بنت عمه، ومسح أحزانه التي نشأ عليها، وكوّن أسرة عريقة وعلّم أبناءه في المدينة.

كذلك تزوج جادين من أقرباء عباس وهذا الزواج الذي لعب فيه عباس محورًا أساسيًا من أجل صديقه جادين تعبيرًا عن عمق الصداقة التي ولدت بينهم، وتعبيرًا عن مدى حبهم وتواصلهم وترابطهم ليتوّج هذا الترابط إلى علاقة اجتماعية تربط بين أسرة عباس وأسرة جادين، وكوّن جادين أسرته تحمل جينات أولاد العمدة وجينات أولاد قبانيت، وبفضل الله تعالى رزق جادين بولدٍ ذكر، أسْماه عباس وعاش حياته كما يحلم.

(النهايـة)

محتويات الرواية

إهداء.....5
شكر وتقدير.....6
رسالة.....7
مقدمة.....8
الفصل الأول.....10
الفصل الثاني.....29
الفصل الثالث.....40
الفصل الرابع.....46
محتويات الرواية.....65

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع